افتتاحية

ليئوره بيلسكي

اتّخذت حكومة إسرائيل في أحد أيام شهر آب 2010 قرارًا يصدّق على قرار لطرد نحو 400 طفل من أبناء وبنات العمّال الأجانب وذويهم. لا يتمتّع هؤلاء الأطفال وذويهم بالمعايير التي وضعتها الحكومة بغية الحصول على إقامة دائمة في إسرائيل، وتقف هذه الفئة من الأطفال في قلب جدل جماهيري شديد. عرض المؤيدون للقرار هذه الفئة بأنها "تهديدًا وجوديًا" على الطابع اليهودي للدولة. بالمقابل، ظهر خطاب جماهيري نقدي، نجح خلال وقت قصير جدًا بتجنيد شخصيات عامة وأدباء وفنانين، يستند في مطالبته عدم طرد هؤلاء إلى هويتهم الإسرائيلية إضافة إلى الواجب الأخلاقي المفروض على الشعب اليهودي ومفاده أنَّ على اليهود أن يتذكروا ظروف الهجرة واللجوء. نجح هذا الخطاب بوضع اليد على عصب التوتّر القائم في تجربة اللجوء اليهودية، تلك التجربة التي تولّد، ظاهريًا على أقل تقدير، التزامات أخلاقية متصادمة: تعزيز الطابع القومي للدولة، من جهة أولى، وفتح أبواب الهجرة للمهاجر الذي يطرق الباب، من جهة ثانية. إلاّ أنَّ تركيز النقاش الأخلاقي على مصير الأطفال، الذين يبدون إسرائيليّين على الصعيد الثقافي، خلافًا لذويهم، قد نجح بفرض ضبابية على النقاش الجماهيري بشأن القضايا الجوهرية المرتبطة بالمواطنة الإسرائيلية وغياب سياسة هجرة وحتّى حجبتها تمامًا. لم يتم تنفيذ قرار الطرد هذا حتّى اللحظة.

يحتل موضوع المهاجرين واللجوء موقع الصدارة في هذا العدد. يلتقي اللاجئ اليهودي من أوروبا النازية مع اللاجئ الأفريقي، ومحجّبات مسلمات في أوروبا تلتقين مع محجّبات يهوديات من بيت شيمش، والليفانتيني (الشرق أوسطي) يلتقي مع الكنعاني. يجلبون في حقائبهم مهن وعقائد وأفكار. يتحدثون لغات أجنبية تستوجب الترجمة. وفعلاً كثيرة هي مقالات العدد الحالي التي تتطرّق إلى مسألة الترجمة، ترجمة حرفية ولكن أيضًا ترجمة ما بين الثقافات. إنهم يتساءلون كيف يمكن نقل أفكار من مكان إلى آخر ومن ثقافة سياسية واحدة لأخرى؟ ماذا تبقى في النصّ المترجم وماذا ضاع فيه قياسًا للمصدر؟ وما هي تلك الظروف التي تؤمّن استيعاب أفكار غريبة؟ على سبيل المثال، فقدَ أبناء وبنات العمّال الأجانب هوية ذويهم الثقافية في طريقهم إلى الحصول على هوية إسرائيلية "صالحة"، ولكن من جهة ثانية، فإنَّ عملية الترجمة أحادية الاتجاه هذه تُبقي الصراع لأجل أطفال العمّال الأجانب ضمن مجال المتعارف عليه في مفهوم المواطنة الإسرائيلية ولا تنجح بتحدّيه.

يقيم مقال **إيتمار مان** الذي يفتتح العدد لقاءً بين لاجئ يهودي من ألمانيا النازية وبين شخص أفريقي يطلب حق اللجوء إلى دولة إسرائيل. إنَّ المنطلق الأساس لهذا المقال هو مقالة حنه أريندت "كلّنا لاجئون" (1943) الذي يشير إلى محدوديات الدولة القومية بما يتّصل

باللاجئين متعاظمي العدد في نهاية الحرب العالمية الثانية. خلافًا لجورجيو أغمبين الذي سعى إلى رؤية مقال أريندت مقولة باتجاه راديكالي تضع اللاجئ في قلب الفكر السياسي بدلاً من المواطن، يقترح مان فرض حضور الرواية الشخصية الذاتية في صميم مقالة أريندت. إنه يرفض الهروب إلى التعميم والتجريد الذي يميز نظام اللاجئين الدولي ويصرّ تحديدًا على صوت الغريب والآخر وغير المفهوم ضمنيًا للاجئ الأفريقي الوحيد الذي يهرب من ضراوة لعنة الجوجو. "اللجوء بضمير المتكلّم" يسعى إلى إعادة الصوت اليهودي الذي من خلاله كتبت أريندت – ذلك الصوت الذي يصف تجربة أقلية قومية إثنية دينية يسعى إلى زعزعة منطق الدولة القومية – وربطه بالواقع السياسي المعاصر.

تسعى مقالة **ليئات كوزما** إلى العودة إلى حقبة الثلاثينيات في فلسطين بغية فحص اللقاء الذي جرى بين أفكار الإصلاح الجنسي من مركز أوروبا وشرقها وبين المجتمع اليهودي الاستيطاني. تشكّلت حركة الإصلاح الجنسي من أوروبيّين راديكاليّين وناشطين لأجل الحق بالإجهاض وشيوعيّين وناشطين في مجال حقوق الإنسان. ووقف عدد كبير من هؤلاء اليهود على رأس المبشرين. طاردهم النازيون وسُجن العديد منهم أو أجبروا على الهجرة من المانيا. جلب أولئك الذين وصلوا إلى البلاد أفكارهم بشأن الإصلاح الجنسي. وأنشئوا مراكز معلومات جديدة هي عبارة عن "محطّات استشارية" (أقيمت المحطّات الثلاث الأولى في تل أبيب في العام 1931)، ونشروا مقالاتهم وآراءهم في زوايا خاصة في الصحف، وفي معرض كتب نقلوها إلى العبرية. احتاجت الأدبيات الجنسية طائفة من الكلمات المستحدثة، وكان من بين المترجمين الشاعر (والطبيب) شاؤول تشارنيحوفسكي. ولكن، كما تدعي كوزما، ضاع أمر مهم في عملية الترجمة هذه. فقد ضاع الوجه الراديكالي الذي ميّز الحركة الألمانية إذ طُمس وانطفأ. تحاول المقالة الإجابة على التساؤل لماذا لم تؤد هجرة الأفراد والأفكار إلى ازدهار حركة إصلاح جنسي راديكالية في تل أبيب.

كذلك تتمحور مقالة **طالي شيف** حول الترجمة. تسعى المقالة إلى فهم مشروع الشرق أوسطية (ليفانت) لجاكلين كهانوف، بوصفه مشروعًا لترجمة تعبير ليفانت من سياق طوائف الأقلية في القاهرة إلى سياق مجتمع يهودي سيادي في إسرائيل. تدعي شيف أنَّ "كهانوف لم تر بالشرق أوسطية سبيلاً للحفاظ على نمط الحياة الكوني، بل على العكس من ذلك، فقد سعت إلى موضعة الشرق أوسطية بوصفها برنامجًا قوميًا للهوية اليهودية الإسرائيلية في طور التبلور". بعبارات أخرى، كان الشرط لنجاح الترجمة هو ملاءمته للظروف السياسية الجديدة لليهود في إسرائيل. تبيّن أنَّ ترجمة هذا التعبير في سياق مشروع سياسي لبناء أمّة ينطوي على جملة من الصعاب. كيف يمكن التجسير بين الحاجة للانتماء وبين الاعتراف في ظلّ غياب إمكانية مبدئية للانتماء؟ تفحص المقالة زاوية هامة لضمان نجاح عملية الترجمة الفكرية: وجود منصّة وسيطة. وفي حال كهانوف كانت هذه المنصّة عبارة عن مجلة باسم "كيشت" يقوم بتحريرها أهرون أمير الذي فرض لقاءً بين الشرق أوسطية وبين الكنعانية.

خلافًا للشرق أوسطية بوصفها مثالاً أعلى للانفتاح والتبادل مع ثقافات المنطقة والعالم، تعالج مقالة **شاحر سديه** صعود منطق بديل وانتصاره على البدائل الأخرى، ألا وهو منطق الفصل والتقسيم بين الأراضي والبشر. إنه المنطق ذاته الذي يقوم في صميم مشروع إنشاء "جدار الفصل" الذي اعتمدته الحكومة الإسرائيلية في العام 2002. اختارت سديه التطرّق إلى الموضوع من زاوية جديدة: صمت وشلّ غالبية منظّمات البيئة الإسرائيلية في ظلّ إقامة الجدار. تتساءل الكاتبة كيف يمكن ردم الهوة الفاصلة بين صمت هذه المنظّمات بخصوص الجدار وبين التزامهم بالعدالة الاجتماعية عابرة الحدود؟ وتقترح الكاتبة البحث عن الإجابة في تحليل ظروف استيراد أو ترجمة مفهوم الاستدامة البيئية وموضعته في الواقع الإسرائيلي. تقوم الكاتبة بترسيم "خطّ الخُضر الأخضر" وتشير إلى أنه خلال هجرة فكرة العدل البيئي إلى إسرائيل ضاعت العلاقة القوية بينها وبين مفاهيم دعم السلام والتماثل مع منظّمات اليسار وحقوق الإنسان. وتدعي الكاتبة بأنَّ هذا التقييد قد منح المنظّمات البيئية أن تصل إلى صميم الإجماع الإسرائيلي. إلاَّ أنَّ عملية الترجمة هذه تقتضي ثمنًا ينطوي على ضياع الجانب الراديكالي للحركة.

بينما تشير سديه إلى التناقض أو التوتّر القائم بين الخطاب عابر الحدود بشأن الاستدامة البيئية وبين صمت المنظّمات البيئية النَّشاز في ظلّ إنشاء "الجدار الأمني"، يرى **غادي الغازي** أنَّ هذا التناقض هو قلب الإرث الكولونيالي الذي يفرض وحدة جدلية بين الحفاظ الصارم على الطبيعة وبين استغلالها الكثيف ("إكولوجية كولونيالية"). شبيهًا لذلك، تطرح مقالة **شليني رندريه** المُتَرجم هنا، "مخطّطات كونية وعوالم حياة محلّية"، مثل هذا الطرح أيضًا. تدعو رندريه إلى تطوير نظرتنا بشأن الحالة ما بعد الكولونيالية بوصفها استمرارًا للكولونيالية بطرق أخرى بديلة. تعرض الكاتبة أمامنا حالة المحمية الطبيعية وهي عبارة عن غابة باسم الحديقة القومية غابة غير (Gir Forest National Park) في الهند، حيث تجتمع فيه قوى محلّية وناشطين اجتماعيّين يستعينون بالممثل الأعظم للعولمة ألا وهو البنك الدولي من أجل زعزعة سلطة الدولة القومية. يسعى الغازي في معرض مقالته النقدية إلى ترجمة استنتاجات رندريه إلى الواقع الإسرائيلي عبر التوقف عند حالة غابة "حيران" حيث تنطوي على أوجه مركّبة ومتناقضة لعمليات الحفاظ على الطبيعة في إسرائيل. تُستخدم سياسة زرع الغابات لدفع السياسة الاستيطانية والتطويرية القاسية إلى الأمام والتي تؤدي إلى طرد السكّان البدو المحليّين تدريجيًا، وأما الوكيل الحكومي المؤتمن على تنفيذ هذه السياسة فهو "الدورية الخضراء".

كما هو حال الأجهزة البيئية المُستخدمة لاستمرار السيطرة الكولونيالية في حقبة ما بعد الكولونيالية، كذلك تسعى مقالة **عران فيشر** الكشف عن كيف أنَّ التكنولوجيا الرقمية تتغاضى عن استمرار حالة الاستغلال الرأسمالي للعامل وتقوم بإخفائه. يتم هذا التغاضي والإخفاء جراء التأكيد المتكرّر على الطابع التحرّري ومقلل الغربة للسوق التكنولوجي الجديد،

إذ يُخصِّص حيّزًا كبيرًا للإبداع والتحقيق الذاتي والعمل وفق الأذواق الشخصية وغير ذلك، ومن هنا يتم إزاحة النظر عن إشكاليات الاستغلال المستمرة.

خلافًا لحالة يهود أوروبا في مطلع القرن المنصرم الذين سعوا إلى الإندماج في الدولة القومية الحديثة عبر التخلّي عن أجزاء من اللباس والسمات التقليدية، تختار نساء مسلمات في أوروبة في التسعينيات وضع الحجاب على رؤوسهن والمطالبة بالانضمام إلى الحيّز العام المدني انطلاقًا من مبدأ وجوب قبول الآخر. تحتل هذه الظاهرة موقع الصدارة في "الجدل بشأن الحجاب" في فرنسا ومواقع أخرى، وهو موضوع مقالة تمار إليئور، التي تسعى إلى فحصها عبر ظاهرة محلّية غير متوقعة: "المحجّبات من بيت شيمش". على الرغم من الإغراء القائم في محاولة الفحص عبر مقارنة بسيطة بين الحالتين بتعابير قبول وعدم قبول غطاء الرأس واحتشام الجسم النسائي في الحيّز العام، تحاول إليئور التوقف عند الاختلاف في ردود الأفعال بغية تحليل أنظمة المواطنة المختلفة وطرق سيطرتها على النساء وجنسيتهن. خلافًا للحالة الفرنسية، حيث يتمركز الجدل حول الحيّز العام في المدارس، فإنَّ نظام المواطنة في إسرائيل يمر عبر المدرسة والبيت. كما هو الحال مع الجدل الجماهيري في إسرائيل بشأن طرد العمّال الأجانب الذي يتمحور حول الأطفال وعائلاتهم وليس حول الموضوع المبدئي الخاص بغياب سياسة هجرة شاملة، كذلك الحال بشأن محاولة الدولة مراقبة "المحجّبات من بيت شيمش" عبر الحيّز الخاص في المدرسة والعائلة وتعريف الوظيفة المعيارية المجندرة للنساء الإسرائيليات بوصفهن أمّهات.

ما هو حيّز النشاط والمقاومة الخاص بالنساء في ظل نظام سياسي أبوي بطريركي؟ هذا هو الموضوع الأساس الذي يتمحور حوله مقال **شيرا ستاف**. خلافًا للنقاش بشأن الحجاب، إذ ظلّل الرمز على صوت النساء الحقيقي، تقوم ستاف بفحص سيرورة عكسية في محاولة إعادة الرمز (فالوس) لأبعاده الحقيقية. تضع ستاف في قلب نقاشها التحريم العتيق الخاص بسفاح القربى بين الأب وابنته. تكشف الكاتبة عن الشرك الذي يقف أمام النساء في حين "أنَّ منع سفاح القربى بين أب وابنته وانتهاك هذا المنع يعملان للحفاظ على المبنى البطركي بعامة وسلطة الأب على ابنته بخاصة". هل هنالك مخرج من هذا الشرك؟ تسعى ستاف إلى العثور عليه بمساندة قراءة نسوية لقصّة بنات لوط. بحسب ادعاء ستاف فإنَّ "بقاء الأب في الحقل الرمزي غير الجسدي هو الذي يتيح له فرصة إخفاء شهوته وإنكارها بينما أنَّ كشف هذه الشهوة تجد له الكاتبة تمثيلاً في اللغة، وبهذا يتم التعامل معها وحتّى العيش معها وإلى جانبها من دون تحقيقها فعليًا بالضرورة".

"النظرية المعرفية للخزانة" هو الفصل الأول في الكتاب بالغ الأهمية للمفكرة **إيف كوسوفسكي سدجوويك**، التي توفيت في نيسان 2009، مترجم هنا للمرة الأولى كاملاً وفي ذيله ملاحظات توضيحية ثمرة عمل **عماليه زيف وأيال غروس**. يقوم فصل "النظرية المعرفية للخزانة" بتحليل مبنى آخر من فرض التناقض والكشف بخصوص هوية مثليّي الجنسية، ذلك

المبنى الذي تطلق عليه سدجوويك تعبير "السرّ المثلي". تنبهنا سدجوويك إلى محدوديات التفكير الثنائي التضادي (Binary Thinking) بشأن الخروج من "الخزانة المثلية" وتسعى إلى استبداله بتفكير أكثر دينامية. اختارت الكاتبة فعل هذا الأمر عبر الجمع بين نصوص قضائية معاصرة وسفر إستير في العهد القديم. يدور الحديث في الحالتين حول إحدى سمات الهوية التي يمكن إخفاءها، ومن هنا إمكانية أن يختار الشخص متى ينكشف وأمام مَن ينكشف ومتى يتخفّى وأمام مَن يتخفّى. إنه أحد التجديدات القائمة في نظرية سدجوويك والتي لا تقبل قوالب جاهزة وثابتة للهوية وتدفع قدمًا بالإمكانية الأخلاقية للهوية أكثر من مجرّد الاعتراف بالاختلافات. ويكتب غروس وزيف "تعتبر سدجوويك مثالاً صريحًا للطاقة الكامنة في التضامن عابر حدود الهوية، تلك الطاقة التي ترى بها قاعدة مركزية الهوية المتحرّرة من الجنس - الكويرية Queer - ذاتها".

كذلك تقف المسألة الأخلاقية في صميم مقالة **حجاي كنعان**. يسعى كنعان إلى التركيز على فكر عمانويل لفيناس الذي يطرح قضية توجّه الوجه البشري، والذي يفتح أمامنا بُعدًا راديكاليًا للغيرية يُلزمنا الرؤية من زوايا أخرى. بالنسبة للفيناس "فإنها رؤية من دون صورة الوجه الذاتية"، وخلافًا لذلك يسعى كنعان إلى الكشف عن توجّه صورة الوجه الذاتية. هل لصورة الوجه الذاتية وجه؟ لمن يتوجّه هذا الوجه؟ وكيف يمكن إعادة أبعاده الأخلاقية إلى النقاش بشأن صورة الوجه الذاتية؟ إنَّ "غيرية" الغريب التي تحتل مكان الصدارة في العديد من مقالات هذا العدد تتخذ منحًى مغايرًا وهامًا. تنطوي المحطّات التي يتوقف عندها كنعان على تصويرات غرافية هي بمثابة صور ذاتية لوجوه بقلم الفنّان Klone المنتشرة في شوارع تل أبيب والتي تمثّل صور ذاتية هجينة، قريبة من وجه الإنسان وقريبة من وجه الذئب في الوقت ذاته. إنَّ الإصغاء للـ"آخر" الذي يحتل مكانًا رئيسًا في جهود ترجمة الكتّاب المختلفين في هذا العدد نجح في عرض توضيح جديد حين نتعاطى تحديدًا مع أوجه الصور الذاتية التي لا تطالبنا بشيء. على ماذا تقوم أخلاقية الاعتراف بوجه الآخر؟ هل تقوم على العثور على أوجه شبه عند "الآخر"؟ ربما تقوم على اختزال الغيرية إلى أسس مشتركة عالميًا؟ وما هو الأمر الذي يتيح أمام المجتمع السياسي فرصة تطوير أبوابه أمام غيرية النساء، والأقليات السياسية، والمهاجرين واللاجئين؟ هل أنَّ اللغة على أوجهها المتعدّدة – العام والخاص – هي المفتاح لفهم توجّه الآخر؟ وربما، كما يقترح كنعان، فإنَّ تعدد الأوجه لعملية التوجّه بالذات هو الذي يفتح أمامنا فرص فهم جديدة؟

***

إنه العدد الأول لمجلة "نظرية ونقد" الذي أقوم بتحريره. لقد ساهم من سبقني في التحرير، عدي أوفير ويهودا شنهاف، بتعزيز مكانة "نظرية ونقد" كمجلة رائدة في الفكر السياسي النقدي في

إسرائيل. وصلت إلى يداي مجلة ينبض قلبها بالحياة ومثيرة إلى جانب طائفة كتّاب وقرّاء هم من الصفوة في البلاد. بصفتي محرّرة، فإني ملتزمة بتعميق الخطاب النقدي انطلاقًا من فتح آفاق جديدة للمعرفة الجديدة. ويصادف هذا العدد السنة العشرين للمجلة. إنها نقطة زمنية هامة تتيح لنا الرؤية عن بعد إلى جانب الاستمرار بالبحث عن سبيل للمستقبل. تصف **ميخال بن نفتالي** في معرض محاضرتها في ذكرى مرور عشرين سنة على إصدار المجلة، والمنشورة في هذا العدد، سُبل رحلة المجلة استنادًا إلى اصطلاحات اللغة: التمرّد على اللغة المقدّسة ومحاولة طرح لغة علمانية تتيح الفرصة أمام النقد السياسي. تقترح بن نفتالي فهم السيرورة التي اعتمدتها المجلة استنادًا إلى اصطلاحات التحليل النفسي وتتلخّص بتمرّد الأبناء على الآباء. إلاّ أنه بنظرها هي أيضًا فإنَّ أمرًا ما يضيع في معرض عملية "الترجمة": "هل يمكن التحدّث باللغة المقدّسة كما نتحدّث بلغة أجنبية؟ وبدلاً من ذلك، هل يمكن الشذوذ عن العبرية باللغة العبرية، التعامل معها بغربة، أو تحويل لغة أجنبية أخرى إلى عنصر فاعل بداخلها؟ هل أنَّ مَن يختار الالتفاف بهذا الشكل حول شرك اللغة العبرية لا يفقد في الوقت ذاته طبقة فاعلة وضرورية لكل عملية نقل؟".

لقد سعيت في معرض اختيار المقالات الخاصّة للعدد الحالي البحث عن إمكانيات الفكر النقدي في عصر العولمة استنادًا إلى الطرح المشترك للفكرة "الترجمة". إنَّ الجمع بين النقاش بشأن الصيرورة السياسية المحلّية وبين أفكار ونظريات تطوّرت في أماكن أخرى من شأنه أن يُحرّرنا من محدوديات المُتّفق عليه، إلاّ أنه ينطوي كذلك على خطر التسطيح وعدم التجاوب مع فرادة وخصوصية الحالة المبحوثة. بمساندة تطوير أدوات نقدية لدراسة مفهوم الترجمة الذي يتطرّق إليه العديد من الكاتبين والكاتبات في هذا العدد، سعيت إلى البحث من جديد عن أحد أعمدة البحث متعدّد الحقول البحثية. ما هي دلالات الترجمة ما بين الثقافات؟ هل يدور الحديث حول علاقات بسيطة بشأن المصدر والنقل، وربما أنَّ النقل الثقافي ذاته يُغيّر المصدر أيضًا؟ ما هي ظروف الانفتاح المطلوبة بغية الحفاظ على غربة المصدر في معرض استيعابه؟ تتضح عبر المقالات المنشورة في العدد الحالي صورة مركّبة للترجمة بوصفها فعلاً تستوجب استحداث كلمات جديدة ومنصّات وسيطة، وكذلك تستوجب فهم سياقات ثقافية وتاريخية وسياسية. إنَّ فهم العلاقة فيما بين الهجرة والترجمة يمكنه مساعدتنا على التحرّر من نظرة الترجمة بوصفها عملية تقنية، أي نقل مضامين قائمة من لغة إلى أخرى، والانتقال إلى وعي نشط يرى بالترجمة حركة في حيّز وزمان تربط بين الدلالات والهويات والبلاد. إنني أرى بمشروع ترجمة المقالات وزاوية "بين الكتب" منصّات هامة لتعزيز التزام المجلة. تتضمّن زاوية الكتب بتحرير نيتسان ليبوفيتش في هذا العدد عرضًا لثلاث كتب، الأول لعوديد هيلبرونير، والثاني لتسفي بن دور بنيت، والثالث لجدعون كاتس. إنَّ اثنين من بين هذه الكتب الثلاثة مخصّصين لموضوع الصهيونية والتاريخ الإسرائيلي من زاوية نظر شاملة وسير ذاتية،

بينما يتوقّف الثالث عند الجانب المرئي للكولونيالية الأوروبية. ابتداءً من هذا العدد سوف يتم نشر مقالات مختارة مترجمة إلى الإنجليزية عبر الموقع.

وبهذه المناسبة، بودّي أن أتقدّم بالشكر إلى رئيس طاقم إدارة المجلة ومدير معهد فان لير في القدس البروفيسور جبريئيل موتسكين وأعضاء الطاقم الذين أولوا إليّ مهمة التحرير. كما وأتقدّم بالشكر الخاص للسيدة ساره سوريني على مساعدتها وإرشادها لي بلطف وبصورة جميلة في خطواتي الأولى في وظيفة تحرير المجلة.